محددة، منطقية وحتمية في الوقت نفسه، توجه سير التاريخ، ويستطيع الإنسان بمعرفتها والاستناد عليها أن يصنع التاريخ بنفسه ويسيطر على مجراه. وليس من شك في أن هذه النظرة إلى التاريخ أحدثت «تغييراً في سيكولوجية البشرية، وبدأ الناس يشعرون بقوتهم ومضائهم، لقد اكتسبوا حاسة تفاؤل تاريخي»[٧٠]. وهذه الحاسة التفاؤلية في النظرة إلى التاريخ تكمن في كثير من النماذج الأدبية الاشتراكية التي لها وزنها في النقد الدوغمائي الأيديولوجي. ومن هنا وجدنا الدارسين والأدباء الاشتراكيين ينتقدون بشدة ما يسمونه «بمواضيع اليأس وعبث الوجود الفردي»[٧١].

إن الواقعيين الاشتراكيين يرفضون أدب اللا معقول أو أدب «الضياع»، لأن هذا الأدب ينظر إلى التاريخ نظرة قاتمة تشاؤمية، وبالتالي فإنه لا يعطي العمل قيمة أو معنى، لأن العمل بلا أمل جحيم لا يولد في النفس سوى الملل وعدم الاحترام، «فكل عمل إنساني يقوم على افتراض مسبق بوجود معنى كامن فيه، على الأقل بالنسبة إلى الذات المتلقية. والافتقار إلى معنى يجعل العمل موضع سخرية»[٧٢] مرة. وهذا ما يلقي ضوءاً كاشفاً على نفسية «سيزيف» الناقم الذي كان يدفع صخرته إلى القمة دون جدوى، ويفسر لنا معنى أن يرفض «ميرسو» ـ بطل رواية «الغريب» لألبير كامي ـ الترقية في منصبه والانتقال إلى باريس، حيث تتحسن ظروفه، كما يفسر لنا تعاسة المساجين في «ذكريات من منزل الأموات»[٧٣] لدوستويفسكي.

ولما كان أدب الواقعيين الاشتراكيين يتمتع بالرؤية التاريخية المتفائلة خلافاً لأدب (الضياع) أو للأدب (البورجوازي)[٧٤] ـ على حد تعبير فيشر، فإن بعض النقاد يتنبأون بعودة سيادة فن الملحمة الذي كان مزدهراً في العصور القديمة، عصور الطفولة العقلية للإنسان، التي نجد الإغريق قد جسدوها ومثلوها أحسن تمثيل. فالناقد «فيشر» يرى أنه من «الأرجح أن الملحمة ستبعث من جديد إلى جانب الرواية. فالوظيفة الرئيسية للرواية هي تحليل المجتمع ونقده، على حين نجد أن الملحمة هي الشكل الأدبي الذي يؤكد الواقع